ليخ فاليسا وجه حركة إضراب عمال حوض بناء السفن

غدانسك.. مهد «السوليدارنوتش»

كان أول مزق في الستار الحديدي، أول نجاح لا يمكن سحقه بالدبابات والمدافع، كانت المرة الأولى التي يتحد فيها العمال مع المثقفين ليقفوا في وجه عنف الدولة الشيوعية معاً.

لقد غير إضراب عمال حوض بناء السفن بمدينة غدانسك البولندية عام 1980 العالم، فتلك الشرارة التي اشتعلت في حوض لينين لبناء السفن بمدينة غدانسك امتدت إلى باقي أنحاء بولندا.

ومنذ ذلك الوقت ينظر إلى هذه المدينة على أنها مهد جمعية تضامن «سوليدارنوتش» البولندية، وقلب الحركة العمالية ببولندا.

وغدانسك، الواقعة على بحر البلطيق، هي مقر المنتخب الألماني خلال منافسات بطولة الأمم الأوروبية. وكان ليخ فاليسا هو وجه حركة الإضراب، أما الرأس المدبر الحقيقي له فهو بوجدان بوروسيفيتش الذي كان في عام 1980 مجرد شاب مثقف ويشغل حاليا منصب رئيس مجلس الشيوخ البولندي، المجلس الثاني في بولندا من حيث الأهمية والنفوذ بعد مجلس النواب.

فقد انتظر بوروسيفيتش لأسابيع حتى حانت اللحظة المناسبة، فقد كان يخطط للإضراب العمالي في فناء خلفي مع عمال حوض بناء السفن الشباب.

وجاء فصل أنا فالينتاينوفيتش، المسؤولة عن تشغيل الرافعة، عن عملها ليمنحهم الفرصة التي كانوا ينتظرونها.

فعلى الساحل، كانت الأمور تزداد حرارة منذ أسابيع بعد ارتفاع أسعار المواد الغذائية من جديد، ليبدأ الإضراب في صباح 14 أغسطس 1980.

وبما أن العمال المضربين كانوا أغلقوا بالفعل بوابة حوض بناء السفن، فقد اضطر فاليسا لتسلق جدار من أجل تولي قيادة الإضراب. لقد انتظر عامل الكهرباء المشهور بشاربه المميز، والذي كانت سلطات الأمن البولندية تراقبه بالفعل في ذلك الوقت مما اضطره إلى محاولة تضليل رقيبه، هذه اللحظة طويلا.

مدينة غدانسك تشتهر بالمباني المعمارية الجميلة

وكان فاليسا جرب بالفعل للمرة الأولى الطريقة الدموية التي تم بها قمع إضراب سابق لعمال حوض السفن في ديسمبر عام 1970.

ويقول فاليسا تعليقا على الإضراب: «صليت للرب لكي يمنحني فرصة أخرى للعودة إلى حوض بناء السفن وتحقيق النصر هناك، انتظرت 10 أعوام لكي يمنحني الرب هذه الفرصة».

تعلم الدرس

وكان فاليسا وزعماء الإضراب الآخرون تعلموا الدرس من الإضراب السابق الذي خلف وراءه 41 قتيلا وآلاف الجرحى، فقاموا بتحذير العمال من اجتياز بوابات حوض بناء السفن للتظاهر.

لم يرد زعماء الإضراب أن ينتهي الأمر بالعمال تحت الدبابات والقضبان من جديد، لذا فقد بقي الإضراب داخل ورش بناء السفن ولكن قضيته امتدت عبر البلاد.

في مناجم ومصانع الفولاذ في سيسيليا العليا وفي مصانع المحركات بوارسو وبوزنان وفي مئات المصانع الصغيرة التابعة للدولة بدأ التضامن مع الإضراب ومطالب عمال حوض بناء السفن في غدانسك. ولم تكن كلمة تضامن «سوليدارنوتش» هي اسم أول اتحاد عمالي مستقل في الكتلة الشيوعية وحسب، فالتضامن مع منفذي الإضراب قاد عشرات الآلاف من البولنديين الى نسيان خوفهم من عنف الدولة تجاههم.

وفي 31 أغسطس 1980 تقبلت القيادة الشيوعية ببولندا مطالب العمال والتي كانت أكثر بكثير من مجرد تحسين مستوى الأجور وإعادة فالينتاينوفيتش إلى العمل.

فقد جاء اتحاد التجارة الحر والنصب التذكاري لقتلى إضراب 1970 ضمن مطالب أخرى لم تكن ممكنة حتى ذلك الوقت.

ومازالت غدانسك يسودها ذلك الشعور الثوري لمدينة «سوليدارنوتش» رغم إفلاس ورش السفن في المدينة بعد انهيار الكتلة الشيوعية.

ويستضيف مقر اتحاد «سوليدارنوتش» للتجارة، والذي لم يعد يتمتع بنفس نفوذه عامي 1980 و1981، على نحو مؤقت معرض «الطرق نحو الحرية» المقام من أجل حركة حقوق العمال والمدنيين البولندية.

وفي عام 2013 سينتقل المعرض إلى مركز التضامن الأوروبي الذي سيتم بناؤه في مكان حوض بناء السفن القديم.

شخص مثير للجدل

أما ليخ فاليسا فقد انتقل منذ زمن طويل من المباني السكنية المخصصة لعمال حوض بناء السفن بالقرب من ورش العمل.

فهو الآن يعيش في واحدة من أرقى ضواحي المدينة عندما لا يكون مسافرا في إحدى رحلاته حول العالم، ففاليسا الفائز بجائزة نوبل للسلام، والذي انتخب رئيسا لبولندا بعد انهيار الشيوعية، مازال متحدثا مطلوبا في الأحداث الدولية.

ولكنه أصبح شخصا مثيرا للجدل في بلاده، فقد اكتشف بعض زملائه أنه أصبح شخصية بالغة التسلط عندما أصبح رئيسا لبولندا، بينما يتمتع فاليسا بمكانة رمزية بالنسبة للعديد من البولنديين الشباب حيث يمثل بالنسبة لهم ماضي اودعته بلادهم منذ زمن بعيد.

ومنذ أن أصدرت دانوتا فاليسا، زوجته، كتابا عن سيرتها الذاتية العام الماضي أصبح حتى السلام الداخلي للأسرة محل اختبار.

فدانوتا، الأم لـ 8 أبناء، التي عاشت لسنوات متوارية في ظل زوجها الشهير لم تشك من نقص المساعدة من زوجها في تربية أبنائهما وفي المنزل بصفة عامة وحسب ولكنها أيضا استنكرت أنه حتى في الوقت الراهن يقضي أمام الكمبيوتر وقتا أطول مما يقضي في التحدث معها.

شارماخ يتذكر بولندا السبعينيات: كنا عائلة واحدة

أندرزيج شارماخ أحد لاعبي الجيل الذهبي لبولندا

لم يكن بمقدورهم مغادرة البلاد قبل سن الـ 30، رواتبهم كانت على مسافة سنوات ضوئية من عالم كرة المحترفين ولم يكن حتى يجول بخاطرهم مناقشة قرار لمدرب، لكن لاعبي الكرة في بولندا الرائعة خلال عقدي السبعينيات والثمانينيات لايزالون يتذكرون الأعوام الرمادية للشيوعية.

يؤكد أندرزيج شارماخ، أحد أفراد أفضل منتخب بولندي في التاريخ، خلال مقابلة مع وكالة الأنباء الألمانية «كنا كعائلة، نتعايش معا. لم يكن اللاعب بالأنانية التي بات عليها الآن».

غريغورز لاتو، كازيميريز دينا، فلوديمير لوبانسكي، فلاديسلاف سمودا، زبيغنييف بونييك، وشارماخ نفسه، أسماء صنعت جيلا ذهبيا حمل البلد الشيوعي في ذلك الحين إلى الذهب الأولمبي عام 1972، والمركز الثالث خلال بطولتي كأس العالم 1974 و1982.

ويعلق شارماخ بفخر في وارسو، في أحد صباحات مارس الرمادية، علم فيه بوفاة فلوديمير سمولاريك أحد النجوم الأساطير الآخرين في ذلك الجيل عن 54 عاما «لاتزال الجماهير تتذكر كل أولئك اللاعبين».

ويوضح «إننا جميعا متأثرون.. في أيامنا، لم تكن المنظومة على ما هي عليه الآن، بداية كان الجميع يلعبون في بولندا، لم يكن هناك حق في المغادرة حتى الـ 30 عاما، لذا كنا نستعد معا».

ويؤكد «بات اللاعبون من يملكون السلطة حاليا، إذا لم يعجبهم مدرب ما يخبرون الرئيس ويرحل»، مضيفا «في ذلك الوقت لم يكن من أحد يصدر صوتا في حضرة المدرب، لم يكن يهم إذا ما كان لاتو أو بونييك، لا شيء يقال. وأعتقد أن ذلك هو ما سمح لنا باللعب جيدا».

وتحت قيادة المدرب كازيميريز جورسكي، تعادلت بولندا في ويمبلي أمام إنجلترا لتتمكن من التأهل إلى مونديال 1974 بألمانيا.

وهناك، كانت بانتظارها مجموعة تضم إيطاليا والأرجنتين، لكن شباب ونضارة وسرعة ذلك الفريق لم تكن تحترم القوى التقليدية.

ويحكي شارماخ «كنا سعداء كفاية بالوجود هناك، لكننا بعد ذلك تقدمنا مباراة بعد أخرى»، وهو لايزال يتذكر مرارة المباراة الأهم في ذلك المونديال، أمام أصحاب الأرض على ملعب «فالدستاديون» في فرانكفورت الغارق، على تذكرة التأهل إلى النهائي.

ويؤكد المهاجم البولندي السابق (61 عاما)، الذي كان مصابا في ذلك اليوم «كانت أجواء غير عادية، في ملعب ممتلئ بالمياه، لكن كان علينا اللعب. أعتقد أننا في ظروف طبيعية، كان يمكننا الفوز بذلك المونديال».

وكان على بولندا أن ترتضي بالمركز الثالث، لكنها كسبت احترام الجميع.

ويتذكر شارماخ، الذي لم يترك عمله في الورش البحرية بجدانسك كي يكرس كل وقته لكرة القدم حتى وصوله إلى سن الـ 21، «لقد كان عصرا ذهبيا».

ومثل زملائه، لم يتمكن اللاعب السابق من الخروج من البلاد حتى سن الـ 30، حينها قدم نادي أوكسير الفرنسي عرضا لضمه.

وبمجرد الحصول على موافقة وزارة الرياضة، رحل المهاجم إلى فرنسا، حيث لعب أيضا في صفوف جينجامب وكليرمون، قبل أن يعتزل عام 1989 في نحو الأربعين من عمره.

ولم تملك بولندا مرة أخرى مثل ذلك الفريق.